﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)

بتاريخ [٢٨-٤-٢٠١٧]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. لا خافض لمن رفع، ولا رافع لمن خفض، ولا معز لمن أذل، ولا مذل لمن أعز، لا إله إلا الله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، أرسله الله بالحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة وبلغ الرسالة، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته، نسأل الله أن يؤتيه سؤله، وأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة، وأن يبعثه مقامًا محمودًا الذي وعده، اللهم آمين.

وبعد...

أيُها الإخوة، فعلينا جميعًا أن نترقى في ديننا، نترقى في إيماننا، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن كما قال علماؤنا: ما وقر في القلب وصدقه العمل. لزامًا أن نترقى في ديننا، ولا يخفى عليكم أن الإيمان يزيد وينقص كما هو رأي جمهور أهل السنة والجماعة، وهو الرأي الصحيح المدعم بالأدلة، إذ الله قال: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]. وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٧)﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

فلا شك أن الإيمان يزيد وينقص، ولا شك أنه ينقص بالمعاصي ويزيد بالطاعات، فعلينا أن نحرص دائمًا وأبدًا على زيادة إيماننا وتنمية إيماننا يومًا بعد يوم، ولكي نقف على أن إيماننا قد ازداد، هناك نصوصٌ من كتاب الله تبين لنا ذلك، هناك نصوصٌ من سنة

رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تبين لنا ذلك، فبالقرآن الكريم نستبصر، وبالسنة المباركة نستبصر كذلك، فهي وحيٌ يوحى كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾ [النجم: ٣-٤]. فعليك أن تكتشف نفسك أولًا، هل أنت في ترقٍي مستمر في إيمانك أم أنك في انخفاض -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-؟ وتستطيع أيضًا أن تكتشف من حولك هل هم على إيمان أم أن إيمانهم ضعيف؟ -بِإِذْنِ اللهِ- تستطيع أن تُبصر ذلك ما دامت معك آيات من كتاب الله تستضيء بها ومعك أحاديث عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تستنير بها.

وقد قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ [الأنعام: ١٠٤]. فإذا كان معك من كتاب الله آيات فهي نورٌ تُبصر به، إذا كان معك من سنة رسول الله أحاديث فهي نورٌ أيضًا تُبصر به، فإذا فقدت الوحيين الكريمين فقدت النورين العظيمين، ومن ثم فإنك ستسير خط عشواء، لا تعرف ما يضر، ولا تعرف ما ينفع، ولا تعرف أين أنت تقف، ولا تعرف إلى أين تسير، ولا تعرف من حولك هل هم أهل إيمانٍ وتقى أم هم أهل فجور وشقاء.

فكان علينا ابتداءً أن نلم بأكبر قدر ممكن من كتاب الله وبأكبر قدرٍ ممكن من سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للعمل بذلك والاستبصار بذلك، فمن هؤلاء المؤمنون الذين قال الله في شأنهم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾ [الروم: ٤٧]. من هؤلاء المؤمنون الذين قال الله في شأنهم: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ [يونس: ١٠٣]. من هؤلاء المؤمنون الذين يتولاهم الله إذ قال: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)﴾ [آل عمران: ٦٨]. من هؤلاء المؤمنون الذين قال الله في شأنهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾ [الرعد: ٢٩]. من هؤلاء أهل الإيمان؟ فلنتعرف عليهم ولننظر أين نحن منهم، ولننظر أين الناس من هؤلاء المؤمنين، فإن وعد الله لا يتخلف، وعد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لن يتخلف.

فإلى شيءٍ من كتاب الله وإلى شيءٍ من سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الصدد لعل الإيمان أن يرتقي، وأن يرتفع، وأن يعلو، فبالإيمان مع العمل الصالح نصل إلى مبتغانا وهو إرضاء الله -سُبْحَانه- ونصل إلى مرتضانا وهو جنات النعيم، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وكما قال الله -سُبْحَانه-: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)﴾ [الإسراء: ١٩].

ولا يخفى عليكم أن الإيمان يتعلق بأعمالٍ للقلب، وأعمال للجوارح، وأعمال للسان، أعمال القلب لا يستطيع أحد منا أن يكتشفها في الناس، إنما مردها إلى الله وإن كان بالإمكان أن نعرف بعض متبوعاتها من الأقوال والأعمال، فالخوف من الله، وحب الخير للمؤمنين، والوجل من الله، وحسن التوكل عليه، إلى غير ذلك من أعمال القلوب علينا أن نترقى بها نحن، وكل منا -بِإِذْنِ اللهِ- يستطيع أن يكتشف نفسه، هل هو من الذين قال الله فيهم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

أنت تعرف نفسك هل أنت من الذين يخافون مقام ربهم ومن ثم فلهم جنتان كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦)﴾ [الرحمن: ٤٦]. هل أنت تخشى الله ولا تخشى الناس؟ كل ذلك في القلب يعلمه الله، قد نعرف نحن بعضه، أما كله فلا يستطيع أحدٌ الوقوف عليه كله لا لنفسه ولا لغيره، بل قد قال الله لرسوله محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]. كذا قال الله لرسوله.

وكذا أمور الإيمان المستقرة في القلوب كمحبة الخلق، ومحبة الله ورسوله، وحسن التوكل على الله، وحسن المراقبة لله -سُبْحَانه-، هذه أعمال كلٌ منا يعالج نفسه

فيها مستعينًا بالله مستبصرًا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة، أعمال للسان واضحة لنا وللجميع، فإذا رأيت شخصًا ذاكرًا الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، تاليًا لكتابه، تاليًا لسنة رسوله، لا يتكلم إلا بطيب القول، لا يتكلم إلا بما يحبه الله ورسوله، يُثني على الخلق، يستر العورات، يستر عورات الناس، يدعو للناس بالمغفرة، فهذه بلا شك علامات إيمانٍ، فالكلم الطيب من علامات الإيمان، طيب الكلام من علامات الإيمان بلا شك.

فإفرازات اللسان تستطيع أن تكتشف نفسك بها وأن تكتشف من حولك بها أيضًا، إذا رأيت من أمامي كثير الذكر، طيب القول، يصلح بين الناس، لا يشعل فتنًا بين الناس، إنما يسدد ويقارب، وينصح الناس بأعمال البر وأعمال التقوى، فهذه علامات خيرٍ بلا شك، فالكلم الطيب من علامات الإيمان كما لا يخفى عليكم.

ولقد قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)﴾ [الحج: ٢٤]. وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. وقد علمتم أن للعلماء قولان في قول الله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]. وقبلها ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾. ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾. القول الأشهر الذي عليه أكثر المفسرين: أن الكلمات الخبيثة تصدر من الخبيثين، والكلمات الطيبة تصدر من الطيبين، الخبثاء يُصدرون الكلم الخبيث، والطيبون يصدرون الكلم الطيب، فإذا وجدت كلامًا طيبًا فاعلم أن مصدره طيب، وإذا وجدت كلامًا خبيثًا فاعلم أن مُصدره شخص خبيث -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-.

كذا أعمال الجوارح، فأعمال اللسان دالةٌ على الشخص، وأعمال الجوارح كذلك، هل هو من المصلين؟ هل هو من الخاشعين؟ هل هو من المزكين أم أنه من البخلاء الأشحاء أم أنه من السعاة في الشر؟ أين أماكن تواجده؟ أين أماكن جلوسه؟ هل

هو من عمار المساجد؟ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)﴾ [التوبة: ١٨]. فأعمال الجوارح أيضًا دالة على الأشخاص، هل هو يصلي الفجر؟ هل يصلي الفجر في جماعة؟ هل هو يشهد الجمع ويشهد الجماعات؟ أين نوادي هذا الشخص؟ هل نواديه نوادي أهل الصلاة أم نوادي أهل الشقاء -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-.

فأيضًا هذه كلها تنبئ عن الشخص، وعن أعماله، وعن سلوكه، وعن اتجاهاته، وبدايةً فإن النبي سُئِل عن الإيمان فقال: «الإيمانُ أن تؤمنَ باللهِ، وملائكَتِه، وكتبِهِ، ورسلِهِ، واليومِ الآخر، وأن تؤمنَ بالقدرِ خيرِهِ وشرِهِ». هذا مجمل الإيمان الذي هو مستقر في القلب، وتظهر آثار الإسلام باديةً على الشخص بعد ذلك، وهذا الجواب كان إجابة على سؤال من جبريل للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد جاءه بهذا السؤال كي يعلمنا ديننا، فجبريل وجه سؤالًا لرسول الله وهو في صورة رجل أبيض الثياب، حسن الوجه، أبيض الوجه، لا يُرى عليه أثر السفر، شعره أسود يسأله سؤالًا، جبريل جاء في هذه الصورة «طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ شديدُ سوادِ الشعرِ، لا يعرفُه مِنا أحدٌ أتاكم يعلِّمَكم دينكم». فسألَ النبيَ سؤالًا، هذا حاصله: ما الإيمان؟ فأخبره بالإيمان، ليس عن جهل من جبريل، لكن كما قال الرسول: «هذا جبريل أتاكم يعلِّمَكم دينكم».

فكانت أصولًا للإيمان؛ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، من يجحد واحدة من تلك الأمور يكفر عند جماهير العلماء وإن كان في القدرية خلاف كما هو معلوم بين أهل العلم، هذا وقد ذُكِرت صفات المؤمنين في عدة سور من الكتاب العزيز، وكما هو منهج يجب أن يُتبَع أننا إذا أردنا بحث مسألة لا نأخذها من آيات قليلات فقط في موطن أو من آية واحدة، إنما نجمع الوارد فيها من عموم الكتاب العزيز.

فمثلًا ذُكِرت عدة صفاتٍ لأهل الإيمان في مطلع سورة (المؤمنون): ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾ [المؤمنون: ١-٢]. ليسوا بعابثين في الصلاة، ولا بكثيري التحرك والانتقال، ولا بكثيري التلفت يمينًا وشمالًا، ولا العين تنظر إلى بعيدٍ وإلى قريبٍ، ولا الهرش مستمر، ولا إصلاح الثياب مستمر، إنما هم خُشع في صلاتهم، لا يصلون والعبث أمامهم ينشغلون به عن ذكر الله وعن تلاوة كتابه وتدبره، لا ينشغلون فيه عن التسبيح، إنما يصلون حيث الوقار حيث السكون.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾. فهم يصلون ومع الصلاة خشوع، فالخشوع إذًا علامة إيمان، تستطيع أن تنظر للشخص المصلي ومن خلال صلاته تستطيع بعض الشيء أن تُقيمه هل هذا من الخاشعين أم ليس هو من الخشوع بقريب، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾ [المؤمنون: ٣]. فهذه صفة لهم أيضًا، هل هم قليل الكلام يتكلمون بخير أم أنهم يتكلمون بكل ما يحلو لهم وكل ما يروق لهم؟ فإذا كانوا من أهل اللغو فاعلم أنهم أهل بعد عن الإيمان، إذا كانوا من أهل الثرثرة فاعلم أنهم أهل بعد عن الإيمان، ولا تغرنك الأوصاف التي يصفون بها أنفسهم، انظر هل هم عن اللغو معرضون أم لا؟

وبعد، الزكاة ما شأنهم فيها؟ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)﴾ [المؤمنون: ٤]. وكذلك ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)﴾ [المؤمنون: ٥-٧]. كذلك هل هم يؤدون الأمانات بعمومها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨)﴾ [المؤمنون: ٨]. أم ليسوا من هذا الصنف؟ وكذلك المحافظة على الصلاة صلاةٍ بعد صلاة، صلاة تلو الصلاة، هل يحافظون على الصلاة أم لا؟ هذه جملة من صفات أهل الإيمان، قال وعقبها: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

ثم صفات أخرى، فالجهاد في سبيل الله لم يُذكَر في هذه الآيات، وكذلك صفات أخر، قال تعالى في سورة (الأنفال): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. إذا أردت أن تعرفهم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. خافت قلوبهم ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال: ٢-٤]. فالذكرى تنفعهم، إذا ذكرتهم بالله تذكروا، كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ [الذاريات: ٥٥].

فمن علامات المؤمن أنه إذا تجاوز الحدود فذكرته بآيات الله تذكر وانتفع بالذكرى، إذا كان في غفلةٍ عن الذكر، عن التلاوة، عن وصل الرحم، عن بر الوالدين وذكرته تذكر فانتفع بالذكرى، لا يجادل بغير علمٍ، إنما يسمع ويطيع، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]. جزاك الله خيرًا على تذكيرك، ويبدأ في التنفيذ ويبدأ في التطبيق كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١)﴾ [الأنفال: ٢٠-٢١].

من سيم أهل الإيمان حسن توكلهم على الله، لا يخافون إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذ الله قال وهو ربهم وخالقهم: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾ [آل عمران: ١٧٥]. ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]. وكذا قال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)﴾ [آل عمران: ١٧٣]. فالمؤمن القوي الإيمان لا يخشى أحدًا إلا الله، لا يكن ألعوبة يأتي مرجف يخيفه فيترك دينه، ويأتي معوق يعوقه على أعمال الخير، يعوقه عن الصلوات، وعن التلاوات، وعن شهود مجالس الخير فيُعاق، لا بل هو ثابت.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)﴾ [الأحزاب: ٢٢]. فهذا شأن المؤمن قوي الإيمان، إن أهل الإيمان لهم سيمة عليكم أن تعرفونها وتعرفوا ونعرف جميعًا أين نحن منها، إن الله قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فالمحافظون على هذه الأخوة أهل إيمان، إذ الله قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. بعضهم أنصارٌ لبعض، فإذا رأيت المؤمن يساعدك، إذا رأيت شخصًا يساعدك، ليس من ورائه مساعدته لك إلا الحب في الله، رأيته ينصح لك، يرشدك، يتفقد أحوالك، كذلك رأيته يدافع عن الإسلام، يدافع عن المسلمين في المجامع في الطرقات، ينصر دينه فهذا مؤمنٌ والحمد لله.

إن رأيته معتزلًا لك، يتمنى لك المصائب، يتمنى أن يُصاب المسلمون بالدوائر وأن تحل عليهم البلايا، فنفض يديك منه أو انصحه إن كان يحتاج إلى نُصحٍ، فالذين هم بعيد يتربصون بالمسلمين الدوائر ويتمنون أن تحل بهم البلايا هؤلاء ليسوا على النهج السديد نهج أهل الإيمان الرشيد، إن الله قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. وقال الرسول الأمين: «المُؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا».

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. فموالاة أهل الإيمان وحبهم واحتضانهم والترحيب بهم أينما وجدوا هذه من علامات إيمانك، أما أن تقف عن بعد ترقب المصائب التي تحل بالمسلمين وتسعد للبلايا التي تنزل بهم أين أنت من قول رسولك: «أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ». «أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ». وذكر منهم «رَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ». إذا حلت بالمسلمين مصيبة فزع لها، لم يشمت بهم، ولم يفرح بمصائبهم، بل يحزن لحزنهم، ويبذل ما في الجهد ويبذل ما في الوسع ذاكرًا الحديث «مثلُ المؤمنين في

تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالحُمَّى والسَّهَرِ».

فالذي يبحث عن الناس وعن مصائبهم، ويبحث لها عن حلول، يبحث عن مريض ويبحث عن طبيبٍ يعالجه، أو فقيرٍ وغني يساعده، ويسعى في مصالح المسلمين، اعلم أنه على خير وأنه على شعبة عظيمة من الإيمان، أما الخامل المتمني للمسلمين الدوائر الباغي للبرئاء العنت والمشقة اعلم أنه بعيد عن أهل الإيمان.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. أما الذي ليس كذلك فهو بعيدٌ عن هذا الطريق الرشيد طريق أهل الإيمان وسلوك أهل الإيمان، أيُها الإخوة إن الرسول – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– بين بيانًا أن «الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً». بين أعلاها بقوله: «أعلاها لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ». فالذي يلهج لسانه دومًا بقول: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، في طرقه يقولها، في بيته يقولها، في نفسه يقولها، الذي يلهج بلا إله إلا الله خالصًا من قلبه فذاك على أعظم شعبةٍ من شعب الإيمان.

للإيمان شعب أخر، وكما سلفت الإشارة أعمال للقلب، أعمال للجوارح، أعمال للسان، قال –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: «أعلاها لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ». إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان، حجر في الطريق نحِه عن الطريق، سيارة تسد الطريق نحِها عن الطريق «إماطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». كما قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فتمهيد الطرق، وتعبيدها للناس، وتسهيلها للناس صدقة من الصدقات، أما الإساءة إلى الطرق، وتوسيخها، وإزعاج المارة بسياراتهم، ونحو ذلك فهذا يلحق بكلام الرسول إذ قال في أمرين كانا في زمانه: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ الذي يَتبولُ أوْ يَتغوطُ في طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ». فشخص يقضي الحاجة في الطريق، شخصٌ يأتي يدوس على

البراز برجله فيقول: من فعل هذ؟! الله يفعل به ويفعل، فنهانا النبي عن مثل ذلك؛ لأن كل من هذين الأمرين يأتيك باللعنات، ورسولك لا يحب لك أن تُلعَن.

قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أعلاها لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحياءُ شعبةٌ من الإِيمانِ». فإذا وجدت الشخص يستحي فاعلم أنه على خير، أما إن رأيته بجحًا متبجحًا اعلم أنه فقد شعبة من شعب الإيمان، فإن النبي قال: «إنَّ ممَّا أدرك النَّاسُ من كلامِ النُّبوَّةِ الأولَى: إن لم تستحِ فاصنَعْ ما شئتَ». وقال: «الحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ».

بين ذلك شعب كثيرة كإفشاء السلام، فالرجل الذي يفشي السلام على الصغير والكبير، السلام عليكم، السلام عليكم، ويكثر من ذلك فعلى خير وعلى إيمان، الذي يفقد ذلك فقد شعبة من شعب الإيمان، إطعام الطعام من الإيمان ومن الإسلام، إيفاء حق الجار من الإيمان والإسلام، إعطاء ذي القربى حقهم من الإيمان ومن الإسلام، وهكذا إنزال الناس منازلهم كذلك وحسن العهد من الإيمان، فتفقدوا أحوالكم.

وقد ذكر علماؤنا وأئمتنا -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى- شعب الإيمان في كتب، أفردوها بكتب، منهم من أطلق عليها صراحةً شعب الإيمان، وأتى بها شعبةً بعد شعبةٍ لمن يريد الامتثال، لمن يريد السمع والطاعة، لمن يريد الترقي في الإيمان، وكما سلف منها أعمال قلب «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». منها حب الله ورسوله، وقد قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجَدَ بِهن حلاوَةَ الإيمانِ». تجد بها لذة الإيمان «أنْ يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المرْءَ». لا تحبه لمال، لا تحبه لجمال، لا تحبه لمنصب، لا تحبه لرئاسة، ولا ملك، إنما «وأنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحبُّهُ إلَّا للهِ، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ بعدَ إذْ أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ؛ كَما يَكرَهُ أنْ يُقذفَ في

النارِ». فمحبتك لله وتقديمك لأمره على كل أمر ومحبتك لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتقديم قوله بعد قول الله على كل قول علامة إيمان.

وعلامة قوية من علامات الإيمان إذا كان مستقرًا عندك أنه لا قول عندك أفضل من قول الله، ولا يُقدَم قول عندك على قول الله وقول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولقد قال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أكُونَ أَحَبَّ إلَيْهِ مِن نفسِه، ومَالِه، وأهلِه، ووَلَدِهِ، والنَّاسِ أجْمَعِينَ». في مجموع روايات، فجاء عمر وكان صادقًا -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إلى رسول الله لما سمع هذا الحديث، فكانوا يسمعون الأحاديث للعمل لا للدراسة والاستمتاع فحسب، جاء عمر بعد أن سمع هذا الحديث إلى رسول الله فقال: «يا رَسولَ اللهِ، واللهِ لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شَيْءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فقالَ الرَسولُ: لَا يا ابن الخطاب». أي: لم يكتمل إيمانك بعد يا ابن الخطاب «لَا يا ابن الخطاب، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ». عمر لم يكابر، انصرف حتى يقاوم نفسه ويجاهد نفسه كي يصل إلى هذه المنزلة، وبعد مدةٍ جاء للرسول وقال: «واللهِ يا رسولَ اللهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كل شيءٍ حتى مِن نَفْسِي فقال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: الآنَ يا عُمَرُ، الآنَ يا عُمَرُ». يعني: الآن اكتمل إيمانك عمر، في هذا الباب إذا وصلت إلى هذه المنزلة أن يكون رسول الله بعد الله -سُبْحَانه- أحب إليك من كل شيء حتى من نفسك، قال: «الآنَ يا عُمَرُ، الآنَ يا عُمَرُ».

أيُها الإخوة لنحرص جميعًا على أن نترقى في إيماننا نترقى بأعمال القلوب التي هي مناط خيرٍ «فالقلبُ مضغةٌ إذَا صلَحَتْ صلَح الجسَدُ كلُّه، وإذا فسَدَتْ فسَد الجسَدُ كلُّه». فاسأل الله ما سأله الصالحون الأبرار المقربون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]. تعوذ بالله من أن تحسد الناس، تعوذ بالله من الكبر والتعالي، تعوذ بالله من التعالي على الناس، تعوذ بالله

من حب الشر للمسلمين، تعوذ بالله من الشرور التي مناطها القلب -عِيَاذًا بِاللهِ- من تلك الشرور.

وكذلك ترقى بأعمال اللسان كي تصل إلى مستوىً راقٍ في الإيمان بقلة الكلام، وكثرة الذكر، وكثرة النصح ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. كذلك ترقى في الإيمان بأعمال جوارحك، خشوعك في صلاتك، سعيك في الخير، النفع المتعدي للعباد كذلك، حاول أن توصل نفعًا إلى خلق الله، حاول أن تنصر دينك، فالله يقول: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾ [محمد: ٧].

أيُها الإخوة، التوفيق دائمًا من الله وبالله، فاسألوه التوفيق قال العبد الصالح الكريم خطيب الأنبياء شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ﴾ [هود: ٨٨]. فاسألوا الله التوفيق، نسأل الله أن يغفر لنا ولكم وأن يوفقنا وإياكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

فمن شعب الإيمان وأعماله عملٌ يسيرٌ وهو كثرة الوضوء، كثرة الوضوء وكثرة الاستغفار، فالاثنان معًا قربتان من أعظم القربات طهارة البدن وطهارة القلب، صفاء القلب وكذلك طهارة البدن، فإن الله قال في شأن أهل مسجد قُباء، يثني عليهم ثناءً حسنًا: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [التوبة: ١٠٨]. وقال تعالى في شأن أقوامٍ: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة: ٢٢٢]. قال الرسول الأمين -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لا يحافظُ علَى الوضوءِ إلَّا مؤمنٌ». فعلامة إيمان بك أن تتوضأ، أن تمشي أغلب أحيانك على وضوء، تمشي متوضئًا، تمشي طاهرًا،

عملٌ يسيرٌ به تنال محبة الله -سُبْحَانه- ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. به تُحط الخطايا.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ألا أَدُلُّكُم على ما يَمْحُو الله به الخطايا ويرفع به الدرَجات؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: إِسْبَاغُ الوُضُوء على المَكَارِه، وكَثْرَةُ الخُطَا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة». فحافظ على الوضوء، «حِلْيَةُ المؤمِنِ تبلغُ حيث يبلُغُ الوضوءُ». حافظ على الوضوء تتناثر خطايا وجهك، خطايا عينيك، خطايا يديك، خطايا شعرك ورأسك، خطايا رجليك مع الماء أو مع آخر قطر الماء، وأفضل من ذلك أن الله يُحبك لما سمعتموه من الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

لن يستغرق معك الوضوء دقيقة واحدة، ولكنها تسُرك يوم لقاء الله، إذا وجِد في صحيفتك تطهر تسعد بهذا يوم لقاء الله، عمل يسير؛ لكن يسره على من يسره الله عليه، إذا شعرت دومًا أنك تمشي طاهرًا، أنك تقرأ القرآن على طهارة، إذا شعرت دومًا أنك على طهارة انتقلت إلى مرحلةٍ أخرى وهي الحرص على طهارة القلب كذلك بالاستغفار، فالأمران تلازما ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾. وهم المستغفرون، أستغفر الله، أستغفر الله حتى يطهر قلبي، حتى يطهر قلبي من اللوث الذي يُصاب به.

حتى يطهر قلبي من أثر الذنب والمعصية أكثرو من الاستغفار، وأُتبع ذلك بأمرٍ حتى يطهر قلبي تمامًا، إذا كنت ظلمت العباد فأؤدي لهم الحقوق حتى ينظف في القلب من الأوساخ المترسبة عليه بسبب ظلم العباد، فقلبي ينصح، ويبيض، ويُنقى بأمورٍ منها الاستغفار، منها دعاء الله «اللهمَّ نقِ قلبي مِنَ الذُّنُوبِ والْخَطايا بالماءِ، والثلجِ، والبَرَدِ».

ومنها أداء المظالم إلى أهلها؛ لأن الله قال في شأن قومٍ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ [المطففين: ١٤]. فإذا ظلمت شخصًا، أكلت مالًا، خضت في عرضه، القلب اتسخ، اغسله برد المظالم إلى أهلها مع الاستغفار، كذلك توضأ، احرص

على الوضوء، واحرص على نظافة ثيابك، فإنها داخلة في التطهر، وربك قال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)﴾ [المدثر: ٤]. وقال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللهَ جَميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ». وفي الآثار: «طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ، ولا تَشبَّهوا باليَهودِ». فطهارة البيت، طهارة القلب، طهارة الثياب، طهارة البدن أمورٌ بسببها تقترب منك الملائكة، أما القذارة -عِيَاذًا بِاللهِ- القذارة قذارة البدن، قذارة الثياب، قذارة المكان، فالشياطين تتراكم عليك وتجلب عليك، فكن طاهر القلب، طاهر الثياب، طاهر البدن، مغتسلًا أو متوضئًا، كذلك طاهر اللسان، عفيف اللسان، طاهر البصر، محترم، موقر، ممتثلًا أمر ربك إذ أمر نبيه أن يقول لنا: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾ [النور: ٣٠]. فطهروا أبدانكم بالوضوء، وطهروا ملابسكم وثيابكم للامتثال ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾. وطهروا قلوبكم بالاستغفار وأداء المظالم لأهلها، وطهروا الأسماع، وطهروا الأبصار، وطهروا الجوارح، والمُعان من أعانه الله.

إخواني، أزف عليكم هلال شعبان، ونسأل الله أن يجعله هلال خيرٍ ورشدٍ وبركة علينا، وعليكم، وعلى الإسلام، وعلى المسلمين، اللهم أهله علينا بالأمن، و الإيمان، والسلامة، والإسلام، والتوفيق يا ربنا لما تحبه وترضاه، نبيكم كان يصوم كثيرًا في شعبان، ما صام النبي شهرًا كاملًا بعد رمضان إلا شعبان «كان يصُومُه كلَّه، إلَّا قليلًا». كذا قالت عائشة في وصف فعل النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فأكثر ما كان النبي يصوم بعد رمضان يصوم في شعبان، وفي حديثٍ وإن كان فيه مقال يسير أن النبي سُئِل عن سبب إكثاره من الصيام في شعبان قال: «ذاكَ شَهْرٌ بينَ رجبٍ ورمضانَ يَغفُلُ عنهُ النَّاسُ».

وأيضًا فإن أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أشعر قولها بذلك، فإنها قالت: «كانَ يَكونُ عَلَيَّ الأيامُ مِن رَمَضَانَ، فلا أسْتَطِيعُ قضاءها إلَّا في شَعْبَانَ». قال فريق من أهل العلم: ذلك لشغلها برسول الله، فلما كان الرسول يكون صائمًا في شعبان فهي الأخرى كانت تحرص على قضاء ما عليها في شهر شعبان، فإلى النسوة اللواتي عليهن أيام من رمضان السابق بادرن بالصيام والإعادة في هذه الأيام قبل أن يدخل عليكن رمضان آخر، ودين الله أحق أن يُقضى، فبادرن بقضاء الديون قبل أن تتراكم ديون على ديون، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقد قال الكليم: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤)﴾ [طه: ٨٤].

اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم ألبسنا لباس التقوى، وزودنا بزاد التقوى، اللهم ألبسنا لباس التقوى، وزودنا بزاد التقوى، يا رب العالمين ألحقنا بالمنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، اللهم أصلح هذه البلدة وأهلها وبلاد المسلمين، وهب المسيئين منهم للمحسنين، واحفظ فتيات المسلمين والمسلمات، فتيات المسلمين أينما يكونون وحيثما يكونون يا رب العالمين، اللهم يا ربنا ارحم موتانا وموتى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، وفرج كروبنا وكروب المسلمين، واقضِ الدين عنا وعن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، واجعل ولايتنا فيمن خافك، واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم فك أسر المأسورين، واقضِ الدين عن المدينين يا رب العالمين، وأصلح ذات البين يا رب العالمين، اللهم مسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك، وزدنا إيمانًا مع إيماننا، اللهم زدنا إيمانًا مع إيماننا، واجعلنا من الطيبين المحسنين المباركين أينما يكونون وحيثما يكونون.

صلوا وسلموا على البشير النذير؛ فإن صلاتكم تصل إليه، صلوات ربي عليه ما ذكره الذاكرون الأبرار وغفل عن ذكره الغافلون.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=RwFRuKXFac٨&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٣٥

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share